المبدأ 41

«استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان!!»

المغزى:

في مواجهة مهارة متفوق أو موهبة أو أي مكانة نفوذ من قبلنا نحن عُرضة لغيرة وحسد من الآخرين، وعندما نلتقي بأناس يتفوقون علينا يبيّنون بأننا في الواقع عاديون وبأن ما نتمتع به ليس مهماً على الإطلاق، أو أننا لسنا على درجة الألمعية التي نتصورها لأنفسنا، مثل هذا الشعور يسبب لنا الاضطراب ويثير لدينا عواطف قبيحة، وليس أقلها شعورنا بالحسد من قبل هؤلاء. وللخروج من هذه الحالة يتعين علينا أن نتعلم إستراتيجية الكتمان، أن نقوم بشيء من الإخفاء لبريقنا بين الحين والآخر، أن تبين بأنك لم تُحسنه جيداً نتيجة «عيوب ما حدث.» ذلك أن الأحمق هو الذي يتحدى الحُسّاد باستعراض انتصاراته، أما صاحب السلطة الذكي فيعرف أن مظهر

التفوق على الآخرين ليس له أهمية بالمقارنة مع حقيقة التفوق المخفي. إن وجودك في عالم السلطة يخلق نوعاً من الحسد ومن أفضل الطرق لإبعاده قبل أن يستفحل، أن يبدو المرء غير طموح، كتوماً، وأن الأعمال التي يقوم بها فيها الكثير من المشقة.

الناجحون وحدهم يدركون سياسة: «الحسد عشبة ينبغي عدم إروائها كي تموت»، يظهرون للآخرين أن مسؤولياتهم جسام وعبئها ثقيل تتطلب نوعاً من التضحية وأنها في نهاية المطاف ليست مصدر سعادة، حيث من شأن ذلك أن يحولك من «موضع حسد» إلى شخص «يُشفق عليه» بحاجة إلى الدعم المعنوي. على الأقوياء أن يظهروا نوعاً من الضعف لإبعاد الحسد، أن يتبيّنوا بأن هناك أقوى وأقدر منهم في أداء ما هم بارعون فيه، أن يتنبهوا لنقد المحيطين بهم وملاحظاتهم الساخرة وعلامات الطعن بالظهر الذي يُهيّئ لها ـ في مكان وزمان ما ـ لإسقاطهم، فنصف المشكلة مع الحسد تأتي عندما لا نفطن إليه بداية بل بعد فوات الأوان.

المثال

كانت رولا أصغر شقيقاتها الثلاث، لأم هي أكبر شقيقاتها، ترعرعت مع أخواتها وخالاتها بعلاقة هي أقرب إلى الصداقة منها إلى القرابة، بعد أن تزوجت استمرت علاقتهن متينة، فبدأن بزيارتها دائماً كونها الصغرى والمحبوبة لهن، وبزيارتهن

المتعددة لها بدأت المساعدات دون طلب، واحدة تدخل المطبخ، وأخرى تعد الطعام، وثالثة ترتب المنزل، وعندما يجلسن معاً يأخذن بالأسئلة والملاحظات والنصائح.. وكان هذا بالنسبة لها مصدر سعادة خاصة وأنهن يكبرنها ويقدمن لها خبراتهن، ولكن بعد فترة اكتشفت نتائج وعواقب هذه العلاقة اللامحدودة، فبتن يعرفن ـ كما تقول رولا ـ كم ننفق وكم ندخر، وكم علينا من ديون ولمن؟ وماذا سنشتري ومن أين؟ وماذا نأكل وماذا نحب وماذا نكره؟ ولماذا نؤجل الإنجاب؟ وأيّة وسيلة منع حمل أستعمل؟ وماذا.. وماذا؟ حتى أصبحت حياتي منتهكة وخصوصيتي مفتقدة، وكانت الأزمة تشتد عندما يكون زوجي طرفاً في نقاش حول مسألة معينة كيف يتدخلن بطرح وجهات نظرهن وآرائهن بناء على ما يعرفنه عن حياتنا، ويثور أكثر عندما يقلن له: «لماذا فعلت كذا؟ كان الأجدر بك أن تفعل كذا..» وهكذا وجدت رولا نفسها لا تستطيع أن تأخذ موقفاً حاسماً من تدخلات أقاربها، فهي من جهة حريصة على علاقتها بهن، فهم أهلها ولا تشك أبداً في حبهم، ومن جهة أخرى تشعر أنها تحيا في جحيم الانتهاك للخصوصية الزوجية والحياة الآمنة.

يبدو أن رولا ضاعت بين أحاسيس الرغبة والرهبة، فهي ورغم ضيقها من مسألة التدخل تخشى على مشاعر أقاربها وصلتهم بها

بينما لا تخشى بنفس الدرجة على حياتها من التصدع، وجدت نفسها في منتصف البحر لا تستطيع أن تكمل الإبحار عبر السماح لهن بمزيد التدخل ولا تستطيع العودة عن ذلك عبر الصراخ بهن: «كفى تدخّلاً»، لقد فتحت باباً لم تكن تظن أنه سيصعب إغلاقه وأن نتائجه ستكون بهذه الآثار التي أفسدت حياتها وعلاقتها بزوجها، كان الأجدر بها أن تستعين بالكتمان على أمور حياتها، لأن الألسن التي تندس بحثاً عن مشاركة بداعي النصح تصبح اقتحاماً، وأسوأ ما في الحياة نصائح البعض للبعض لأنها كشمس الشتاء تشع نوراً ولكنها لا تمنح دفئاً، كان على رولا وزوجها أن يستدركا الأمر قبل أن تتعاظم الأمور، بأن يعيا تماماً بأن كل علاقة إنسانية لها حكمها الخاص.. ولعل تاج هذه الحكم أن يلوذا بالصمت فلا يجعلان حياتهما مشاعاً أمام الأقارب والأصحاب.

الملخص:

إن ظهور المرء أفضل من الآخرين على الدوام خطر بحد ذاته، ولكن الأخطر منه هو ظهور المرء بلا عيب أو ضعف، لأن من شأن ذلك أن يوجد أعداءً صامتين (حُسّاداً)، لهذا من الحكمة أن يكشف المرء عن نواقص بين الحين والآخر، أن يبين مطبات وقع بها لكي يُبعد عنه الحساد.

المرادف:

- إن إخفاء موهبة المرء ومهارته يتطلب موهبة ومهارة عظيمتين.

(لاروشفوكو)

- إن المعجب الذي يشعر أنه لا يستطيع أن يكون سعيداً بتسليم نفسه يختار أن يصبح حاسداً لمن هو معجب به (...) ذلك أن الإعجاب هو الاستسلام السعيد أما الحسد فهو إثبات النفس التعيس.

(سورين كير كيغارو)

- ليس هناك انتقام أكثر بطولة من ذلك الذي تأتي به المزايا والمنجزات التي تثبط الحاسد وتعذّبه، فكل ضربة حظ طيب هي فتلة حبل حول عنق ذي النية السيئة.. فالحسود لا يموت مرة واحدة فقط بل بعدد المرات التي يسمع فيها من محسوده صوت المديح طيلة حياته.

(بلثازار غراسيان)

- إذا كانت A هي النجاح في الحياة فإنها تساوي x + y + z، العمل هو (x) و (y) هي اللعب و(z)، هو إبقاء فمك مغلقاً.

(ألبرت آنشتاين)

■ ■ ■

obeikandl.com